في آلية الوعظ
الاحد 25 كانون الثاني 2009 العدد 4

حسب القوانين القديمة، كل خدمة إلهية (سَحَر، غروب، مأتم، إكليل، قداس) يجب ان يكون فيها وعظ او تعليم. ولكن أهم مساحة للوعظ هي القداس الإلهي. بصورة عامة هو مركّز على الإنجيل او الرسالة او كليهما اذا كانا متشابهين او متقاربين في الموضوع. يجوز، استثنائيا، ان يكون على سيرة القديس الذي نعيّد له على ألا تكون العظة مجرد سرد للسيرة ولكنه سرد مرتبط بالإنجيل.

متى تُلقى الموعظة؟ يقول هذا وذاك: قبل مناولة المؤمنين لأن المؤمنين يكونون قد كثروا. هذا غير صحيح لأن العظة جزء أساسي من خدمة الكلمة. وبعد الإنجيل بقليل يبدأ الكلام الجوهري الذي يصبّ في المناولة. اذا كانت هذه هي القمّة فلا مكان فيها للوعظ.

ليس عندنا توجيه حول مدة العظة. ولكن، من وجهة عمليّة، وبسبب طول الخدمة الإلهية، عشر دقائق او 12 مدة كافية يمكن ان يتكلّم فيها الكاهن على القراءة التي تُليت اذا عرف الكاهن ان يتهيأ للكلام فلا يتردد في الكلام ولا يكرّره ولا يُترجم التلاوة الإنجيلية الى اللغة العامية. هناك غذاء روحي يجب ان ينقله.

بأية لغة نتكلّم، هل بالفصحى او بالعامية؟ المهم ان يفهم المؤمنون على كل مستوياتهم العلمية. في اختباري الشخصي، وصلتُ الى هذه القناعة: لتكن الموعظة مزيجًا من اللغتين الفصحى والعامية حسب مقتضى الفهم اي حسب ضرورة التبليغ. احيانا الفصحى تصل الى القلب بصورة بليغة، واحيانا تصل العامية بصورة اسهل. المهم "الهضم" عند عامة الناس الذين هم اكثر من المثقفين .

واذا رأى الكاهن ان معظم المؤمنين من البسطاء فليكتفِ باللغة الدارجة. ولا يتعقد الكاهن اذا قال احدهم: ابونا لا يعرف اللغة. نحن لسنا عبيدًا للغة. نحن خُدّام ليسوع المسيح.

واذا كان الكاهن يرى نفسه غير قادر على الارتجال، فليكتب موعظته ويقرأها. هذا أفضل من ان يتردد ويتباطأ ويتلعثم. لذلك اوصي كل كاهن مبتدئ مهما كان ملمًا باللغة ان يكتب في السنتين الاوليين لرسامته او الثلاث .

وحتى لا يتعب بالإلقاء، فليتنفس بعد كل جملة او جملتين او ثلاث حتى يحافظ على صوته. وهذا يساعده على الا يصرخ. الصوت العالي كثيرًا يحسّ المؤمنون على انه غضب، والغضب يفهمونه توبيخا لهم. افضل توبيخ يكون بصوت هادئ. ولكن اعتقادي ان التوبيخ او اللوم يجب ان يكون نادرا، فلا تقل لهم مثلا لماذا لا تجيئون الى القداس وهم حاضرون. انت لا توبخ الغائبين. كلام التشجيع والحث على التوبة، الكلام الايجابي افضل من الكلام السلبي.

الى هذا فالمفيد أن تتضمّن العظة كلامًا يفهمه الأطفال (باللغة الدارجة طبعًا). واذا كان الأطفال يجتمعون في قاعة الكنيسة قبل القداس او بعده فليكن لهم عظة خاصة بهم (بلا ورقة تكون).

من المفيد جدًا ولا سيما في الكنائس الكبيرة ان يكون أمام الخطيب مكبّر للصوت يؤدي الصوت حسنًا. ولتختبر الناحية التقنية قبل الوقت حتى لا ينزعج الكاهن او الشعب اثناء الأداء.

بعد هذه الملاحظات العملية أرجو أن أوفق الى الكلام الأعمق.

جاورجيوس مطران جبيل والبترون وما يليهما (جبل لبنان).